١٨٧١ — هذه الروح لا تزال حية في المانيا الى هذا اليوم. فقد يكون ثمة ما هو شرٌّ من الحرب ولكن شرٌّ من الامرين صلح يعقد على ايدي القواد الالمان

قال الكاتب الذي لخصنا عنه هذه المقالة « ولا يكفي ان تثابر الامم المتحالفة على الحرب حتى تجرّد هذه الروح من كلّ قدرة على الشرّ وتمنعها من اغتنام كلّ فرصة للاذى بل انهُ يجب ايضاً على الدول التي تحارب لتحرير العالمين من نير الاستبداد البروسي ان ترفض قطعاً معاملة عصابة المجرمين العسكريين الذي اثاروا هذه الحرب او اي كان منها ولاسيما انهم تحدوا اوربا من الآن قائلين انهم لا يعتلون في مؤتمر الامم الذي يعقد للمفاوضة في الصلح صوت الامة الالمانية ولا رغبة البرلمان الالماني بل مصالح الجيش لا غير. فمفاوضة رجال مثل هؤلاء هي عثارة قبول قيمتهم بما يقدرونها هم انفسهم »

مستقبل الارض وسكانها

لا جدال في ان هذا الزمان العصيب اصعب الازمنة التي اتت على الانسان منذ اول ظهوره على سطح هذه الارض بشكله الحالي الى الآن. ولكننا اذا استطعنا ان نرفع عن عيوننا الغشاوة المسدولة عليها وننظر الى المستقبل نظرة صادقة فلا بدّ ان نرى ان ساعة الشدة القصوى لم تأزف بعد وان المستقبل يدخر لبني الانسان ازمنة لا تعدُّ الازمة الحاضرة شيئاً مذكوراً في جنبها مع هذا المستقبل المشوم ليس بعيداً عنّا بعداً كثيراً

قدّر تقويم هوينكر ان الارض تتم ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة وانهُ سيكون فيها هذا العدد من الخلق سنة ٢١٠٠ للميلاد اذا بقي الناس يزدادون بمتوسط السرعة الحالية. والاحصائيون على ان هذا التقدير صحيح بالاجمال. وبحث كاتب منذ ٢٧ سنة في سكان غرب اوربا (ما عدا روسيا والبلقان) وعددهم ومتوسط زيادتهم فرأى انهم يزدادون بمتوسط ٢١ في المئة في ثلاثين سنة اي ان الزيادة تبلغ ٧/١ مليون في السنة او ٦٦٦ في المئة كل عشر سنوات. وبعبارة اخرى انهُ اذا استمرت زيادة السكان في غرب اوربا كما كانت بين سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٨٠ فانهم يبلغون ٤٥٥ مليوناً سنة ١٩٩٠

ومن اشهر الاحصائيين في هذا الموضوع الدكتور نيوزهولم . فقد بحث في زيادة السكان في كثير من البلدان . وآخر مدة وقعت تحت بحثه الخمس السنوات بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٨٩٥ فظهر له ان نيوزيلندا وسيلان في المرتبة الاولى من الزيادة اذ بلغت في الاولى ٢٫٠٩ في المئة سنوياً وفي الثانية ٢٫١٦ في المئة . على ان معظم هذه الزيادة فيهما ناشئة عن المهاجرة اليهما . وتليهما شيلي في اميركا الجنوبية ومعدل الزيادة فيها ١٫٩٦ في المئة وهي ناشئة كذلك في الاكثر من المهاجرة اليها . وفي المرتبة الثالثة الولايات المتحدة الاميركية ومتوسط الزيادة السنوية فيها ١٫٧٣ في المئة . وفي الرابعة روسيا ومتوسط الزيادة ١٫٥٨ ثم المانيا والزيادة ١٫٤٧ . ومثلها انكلترا رغم كثرة المهاجرة منها . اما فرنسا فالزيادة فيها قليلة جداً وهي ٠٫١٢ في المئة . واما ارلندا فاهلها ينقصون فعلاً بالمهاجرة ومتوسط النقص ج في المئة وهي البلد الوحيد الذي يقل عدد سكانه سنة فسنة

وقد بنى الدكتور نيوزهولم على احصائه هذا حساباً فحواه ان اهل روسيا سيتضاعفون في نحو ٤٩ سنة . وانكلترا في ٥٩ سنة . وايطاليا في ٦٥ . والمانيا في ٧٤ . وفرنسا في ٥٩١ سنة اذا بقيت حالة مواليدها كما هي الآن . واذا قدرنا ان اهل الارض يتضاعفون بعد مئة سنة وقدرنا عددهم الآن بنحو ١٦٢٣ مليوناً فسيصير ٦٤٩٢ مليوناً بعد مئتي سنة وهو يطابق اجمالاً تقدير هويتكر المذكور آنفاً

ومن الاحصاءات التي تستحق الذكر بهذا العدد احصاء مولطن وقد قابل فيه بين عدد السكان في الميل المربع من البلدان المختلفة في سنتي ١٨٢٠ و ١٨٩٠ . ويؤخذ منهُ ان زيادة سكان الولايات المتحدة الاميركية تفوق زيادة السكان في سائر البلاد التي ذكرها في احصائه فقد زادوا من ٣ في المئة في الميل المربع سنة ١٨٢٠ الى ٢٠ في المئة سنة ١٨٩٠ . وتليها انكلترا فقد كان متوسط ما في الميل المربع فيها ٢٣٧ نفساً سنة ١٨٢٠ فصار ٥٠٥ سنة ١٨٩٠ . وتضاعف سكان المانيا تقريباً في خلال هذه المدة ولكن كثافة السكان في الميل المربع من ارضها لا تزيد على ٢٣٣ في الميل المربع . وتضاعف سكان البلجيك ايضاً ولكن كثافة السكان فيها اعظم منها في سائر البلاد لان متوسط ما في الميل المربع منهم ٥٣٠ نفساً . وزاد اهل روسيا على الضعفين فكان متوسط ما في الميل المربع ٢٠ سنة ١٨٢٠ فصار ٤٣ سنة ١٨٩٠ . والبلد الوحيد الذي نقص سكانهُ هو ارلندا فقد كان في الميل

المربع ٢١٢ سنة ١٨٢٠ فصار ١٤٨ سنة ١٨٩٠ . اما فرنسا فزاد اهلها زيادة مضمحلة من ١٧٢ في الميل المربع الى ٢٢٠ ولكن العارفين يشتبهون في صحة هذه الزيادة ولاسيما ان الارقام تخالف ما في احصاء الاحصائيين الآخرين . وحسب موظفي ان سكان اوربا اجمالاً زادوا من ٥٨ في الميل المربع سنة ١٨٢٠ الى ٩٠ سنة ١٨٩٠

وقدّر الاحصائي وب ان متوسط السكان في الميل المربع في اوربا سنة ١٩١٠ يبلغ ١١٠ وفي اميركا ١٠ . وفي الارض كلها ٣١ . وفرض ان عدد سكان الارض كلهم ١٦١٠ ملايين وبنى حسابه المتقدم على ما يصلح من الارض للسكن مقارباً صفحاً عن اقاصي الاصقاع القطبية الشمالية والجنوبية

وهنا يرجع بنا الى البحث في عدد ما تحتمل الارض وتعول من السكان . فقد قدر الدكتور باركس في كتاب الهيجين العملي ان متوسط ما يحتاج اليه الانسان من القمح في السنة اردب ما عدا الطعام الحيواني الذي يأكله . وان كل مليون من الناس يحتاجون الى الف ميل مربع من الارض الجيدة والرديئة محسوبة معاً لاخراج القمح الذي يلزمهم سنوياً وانه لا يأتي على الارض مئتا عام من تاريخ هذا حتى تغص بالسكان . وقد اشتهر عند الاحصائيين مذهب ينسبونه الى مالثس في حين ان غيره عرفوه قبلهُ وخلاصهُ ان الناس يزيدون على نسبة هندسية اي بضرب عدد معلوم في مجموع عددهم وان طعامهم يزيد على نسبة حسابية اي باضافة عدد معلوم اليهِ . وبناء على ذلك فان طعامهم يبيت بعد مئتي سنة — كما قدروا — دون الكفاف

ولكن في الناس قوماً يقولون ان هنالك عوامل خفية طبيعية تعمل على تقليل زيادة الناس وان الناس انفسهم يستطيعون تقليل زيادتهم بوسائل اصطناعية يلجأون اليها اذا اقتضت الحاجة . اما العوامل الاصطناعية فلا يمكن ان تبنى عليها آمال كثيرة هذا هو مذهب العارفين . واما العوامل الطبيعية فمن رأي بعضهم ان هنالك يداً خفية تحفظ التوازن بين الناس وطعامهم بتقليل زيادة عددهم على ضوال مجهول . ولكن ليس في وقائع الحال ما يؤيد هذا الرأي . والاعتقاد شائع في بعض بلدان اوربا واميركا بان عدد الناس يقل بتقدم وسائل المدنية والعمران

ولكن الدلائل كلها تدل على فساد هذا الزعم . قال داروين في كتاب « تسلسل الانسان »

« عندنا من الدلائل ما يثبت صحة قول ملثس وهو ان قوة انتاج النسل في المتوحشين اضعف مما هي في المتمدنين . فقد اثبت في موضع آخر ان حيواناتنا ونباتاتنا الاهلية اكثر نتاجاً وخصباً من الحيوانات والنباتات البرية . فلا بدع اذا جاء الانسان المتمدن اكثر نتاجاً من اخيه المتوحش . والمرجح ان زيادة خصب الامم المتمدنة تصبح مع الايام صفة موروثة كما هو الحال في الحيوانات الاهلية » . وغني عن البيان ان تقدم الطب والوسائط الصحية معهُ وتحسين طعام الناس وسائر مرافق عيشتهم — هذا كلهُ مما يخفض متوسط وفياتهم وبالتالي يزيد عددهم

وقد ذهب بعضهم الى ان ميل الناس المتزايد الى سكن المدن واستبدال العيشة القروية بالعيشة الحضرية من شأنهِ ان يقلل زيادة الناس . ولكن من رأي العارفين ان سكن المدن ليس في حدّ نفسهِ سبباً من اسباب تقليل المواليد . وذهب غيرهم الى ان خسارة النفوس في الحروب الكبيرة يؤثر في عدد الخلق تأثيراً محسوساً . ولكن موت عشرة ملايين نفس في حرب مثل حربنا هذه ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة الى عدد سكان الارض ولا يؤجل اليوم الذي تضيق الارض فيهِ دون ساكنيها تأجيلاً يذكر . وليس ببعيد كما تصور لورد كلفن في احدى رواياتهِ ان يخترع الانسان في هذا القرن او القرن التالي أداة للقتل تفعل فعل السحر اذا ادارها اضعف خلق الله ابادت الالوف جملة وعشر طرفة عين كأن تكون مجرى كهربائياً اذا اطلق لم يبق ولم يذر . وهذا التصور على بعده يجب ان يحسب لهُ حساب لانهُ ليس مستحيلاً لذاتهِ وهو اذا ترك في يد الانسان فليس ثمة ما يمنع حدوث شرّ ما يُتوقع لان هذه الحرب اثبتت ان جماح الانسان لا شكيمة لهُ وان عقلهُ الذي ساد بهِ سائر الخليقة لا يعقلهُ عن شرّ ولا يدفعهُ الى خير

لم تكن الحرب التي اثارتها المانيا سنة ١٩١٤ لازمة لها لانهُ ان ضاق مكان فيها باهلهِ لم يكن على الالماني منهم الاّ ان يركب البحر الى بلاد اخرى فيجد فيها فضاء واسعاً ينزلهُ على الرحب والسعة ويلقى من اسباب الرزق ما يعرف كيف يحافظ عليهِ . ولكن بعد مرور قرنين من الزمان لا يجد المهاجرون ما يجدون الآن من رحب الارض واتساعها امامهم كيفما ساروا وايان حلوا بل يضطرون الى

التنازع ليكتسبوا مكاناً لهم ويكون هذا مبتدأ حرب عامة لا حدّ لها ولا نهاية ويتخيلها من سمعوا الحروب المعروفة ان الناس لا يحرضون غمارها مختارين بل مكرهين يحدوهم على ذلك طلب دار يكنون فيها مطمئنين فلا يجدونها الا بشق الانفس

فالحرب القادمة العامة هي للقوي ويتضح لنا ان الامة التي تكون اكثر عدداً من غيرها واعظم عدة واهبة واغلظ اكباداً هي الامة التي تربح في ذلك النزاع وترث الارض. وستكون عوالمها التي تمهد السبيل لها قتل الامم الصغرى الضعيفة بدعوى عدم وجود مكان لها في مزدحم الامم

منذ بضع عشرة سنة كتب المستر بيرسن الانكليزي كتاباً وجّه فيه انظار اوربا الى الخطر الاصفر. كتبهُ قبل حرب روسيا واليابان وقبلما ساءت تلك الحرب الشام عن قوة اليابان المكنونة فيها. وحجتهُ فيه ان الصين بجموعها الكثيفة التي تعدّ مئات الملايين ستبيت في المستقبل خطراً على حضارة الغرب متى استفاقت من سباتها ونفضت عنها غبار الكسل الطويل واقتبست علم الغربيين واساليبهم واصطفّت للحرب على الانظمة الغربية. هذه زبدة ما كتبهُ ولكنهُ لم يحسب فيهِ حساباً للزمان بل بنى استدلالهُ على افتراض ان الاحوال الحاضرة اليوم تبقى سائدة ابد الدهر بلا تغيير ولا تبديل. وفاتهُ ان اليوم قريب — يوم تغصّ الارض بسكانها فيضطرون الى الكفاح ليكون لهم حق المعيشة المجردة لا حق الفتح والسيادة. وفاتهُ ان هذا اليوم اقرب بكثير من اليوم الذي تتنبه الصين فيهِ من رقادها فضلاً عن ان تكون مستعدة لاجتياح الغرب بجيشها العرمرم. وان الصين لن تفتح عينيها في مستقبل الزمان الا على جيوش الغزاة القادمين من الغرب لاكتساحها وتخفيف ازدحام من بالادهم

على انهُ قبلما تزدحم الارض بسكانها تبيت الامة على ظهرها مما لا يطاق لان الناس يضطرون ان يملأوا ساحات المدن بالمنازل ويضيقوا الشوارع الواسعة او يحفروا الانفاق والسراديب تحت الارض ويتخذوها بيوتاً لهم على مثال ما تفعل الجنود في خنادقها اليوم. وقد يعلل الناس انفسهم بهذه الحيل الى حين ولكن اذا جاء جيش فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. فلا بدع اذا قال هكسلي ان ناموس التشوه والارتقاء لا يبشر الناس بنعيم مقيم